ISSN: 2090 – 0449 Online
UIF Universal Impact Factor, [0.1101].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.02].

المؤرخون المغاربة وتحقيق المخطوط
تجربة الدكتور إبراهيم القادري بوتشيش أنموذجًا

د. أحمد الصديقي
أستاذ التعليم العالي مساعد
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة ابن زهر – المملكة المغربية

مُلَخّصْ

تكتسي عملية تحقيق الروايات التاريخية والمتن التراثي أهمية بالغة، لكونهما يميطان اللثام عن كثير من الروايات التاريخية التي ظلت أسيرة لقراءة أحادية، أو مخطوطات طالها الإهمال والنسيان في رفوف الخزانات الخاصة أو العامة. وبتعدد الفروع المعرفية الأكاديمية تعددت مقاربات التحقيق، وتباين معها مستوى التدقيق والتمحيص، لذلك أضحى حضور المؤرخ في هذا المجال إضافة نوعية، عبر استغلاله لحاسته النقدية ورؤيته الشمولية المحيطة بالسياق الثقافي للروايات التاريخية أو لعمليات التصنيف والكتابة. وتُعَدّ تجربة الأستاذ الدكتور إبراهيم القادري بوتشيش رائدة في هذا المجال، وتستدعي وضعها كإطار نظري يوجه الباحثين الشباب في مختلف حقول المعرفية الإنسانية عامة، وفي حقل التاريخ خاصة، سواء من حيث منهجية تحقيقه للروايات التاريخية كما هو مثبت في متن مؤلفاته حول التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والذهني للغرب الإسلامي، أو من خلال تصوره لتحقيق النصوص والمخطوطات كما يؤطره تحقيق رسالتان في الأنواء. نسعى من خلال هذه الدراسة إلى مقاربة تدرج الأستاذ الدكتور إبراهيم القادري بوتشيش من تحقيق الروايات التاريخية إلى تحقيق المتن التراثي، من خلال مساءلة تجربة المحتفى به في هذا المجال، سواء بتحقيقه لكثير من الروايات التاريخية، من قبيل قراءته للأبعاد المخابراتية لرحلة ابن حوقل تجاه بلاد المغرب لصالح الفاطميين، أو تحقيقه لخبايا رحلة يحيى بن إبراهيم الجدالي إلى الحج وربطها بالمشروع السني الساعي إلى محاصرة المد الشيعي... ومقاربة تجربته في تحقيق "رسالتان في الأنواء لعريب بن سعد وابن البنا المراكشي"، وتتبع انشغالاته ورؤيته المنهجية في كيفية التعامل مع المخطوط، خاصة وأن الباحث الأستاذ الدكتور إبراهيم القادري بوتشيش يحسب له أيضًا إدراك قيمة فتاوى ابن الحاج التي خصص لها دراسة وافية أبرز فيها القيمة التأريخية للمخطوط، فضلاً عما تعكسه مجمل أعماله المطبوعة أو المنشورة في العديد من الدوريات الوطنية من روح وقادة وإرادة لا تنكسر في التشجيع على التحقيق الرصين، وغيرة على التراث المخطوط في أفق تحديث المعرفة التاريخية.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث:	١٢	يوليو	٢٠١٨
تاريخ قبـول النشـر:	٢٣	أغسطس	٢٠١٨

كلمات مفتاحية:
تحقيق التراث، تحقيق المخطوط، إبراهيم القادري بوتشيش، الرواية التاريخية، رسالتان في الأنواء

معرّف الوثيقة الرقمي: DOI 10.12816/0053276

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:
أحمد الصديقي. "المؤرخون المغاربة وتحقيق المخطوط: تجربة الدكتور إبراهيم القادري بوتشيش أنموذجًا".- دورية كان التاريخية.- السنة الحادية عشرة- العدد الواحد والأربعون؛ سبتمبر ٢٠١٨. ص١٢٦ – ١٣٧.

مُقَدِّمَةٌ

يكتسي تحقيق المتن التراثي أهمية بالغة، لكونه يميط اللثام عن رصيد تراثي مخطوط عانى من براثين الإهمال والنسيان في رفوف الخزانات الخاصة والعامة. وبتعدد الفروع المعرفية والأكاديمية تتنوع مقاربات التحقيق، ويتباين معها مستوى التدقيق والتمحيص، وتدفع في اتجاه إعادة تحقيق ونشر أكثر من مخطوط، وهو ما يمنح عملية رصد أو تقييم هذه التجربة بعدًا علميًا، عبر وضعها ضمن سياقها التاريخي، وتتبع مكامن القوة والخلل فيها، حتى يتسنى إيلاء التحقيق المكانة التي يستحقها ضمن سيرورة تطور البحث العلمي بالمغرب منذ الاستقلال.

يُعَدّ الاهتمام بتحقيق التراث المخطوط ليس من قبيل الخضوع "للموضات الجديدة العابرة"، ولكنه حاجة علمية وثقافية، تروم

بالنسبة للمؤرخ الكشف عن شواهد الماضي، خاصة مع "توسيع مفهوم التاريخ، وتطوير مجال المصادر، وانخراط المؤرخ في سياق العلوم الإنسانية"[١] سعياً إلى خلق نوع من التراكم في أفق إنشاء قاعدة صلبة للبحث العلمي، انسجاما مع حركة التجديد الشاملة التي واكبت الكتابة التاريخية بالمغرب، بتوسيع دائرة الاهتمام من التاريخ التقليدي/ السياسي/ الحدثي إلى تاريخ البنيات الاقتصادية والاجتماعية والذهنية.

وتُعَدّ تجربة الأستاذ الدكتور إبراهيم القادري بوتشيش رائدة في هذا المجال، وتستدعي وضعها كإطار نظري يوجه الباحثين الشباب في مختلف حقول المعرفة الإنسانية عامة، وفي حقل التاريخ خاصة، سواء من حيث منهجية تدقيقه وتحقيقه للروايات التاريخية كما هو مثبت في متن مؤلفاته حول التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والذهني للغرب الإسلامي، أو من خلال تصوره ومنظوره -بعد خبرة-في تحقيق النصوص والمخطوطات كما هو مثبت في عمل تحقيق مشترك لكتاب "رسالتان في الأنواء".

نسعى من خلال هذه الدراسة إلى محاولة رصد تطور تجربة التحقيق في الجامعة المغربية، ومستوى حضور المؤرخ فيها، ومقاربة هذه التجربة في التحقيق الموازي بعيداً عن التأطير الأكاديمي مع المؤرخ الأستاذ الدكتور إبراهيم القادري بوتشيش الذي تَدَرّج من تحقيق الروايات التاريخية إلى تحقيق المتن التراثي، وذلك عبر مساءلة تجربته، سواء بإعادة قراءته لبعض الروايات التي حبل بها المتن الاستغرافي، من قبيل قراءته وتحقيقه لخبايا الرحلة الحجية ليحيى بن إبراهيم الجدالي (حوالي سنة ٤٦٧هـ)، وربطها بالمشروع السني الساعي إلى محاصرة المد الشيعي بالعالم الإسلامي خلال القرن (٥هـ/ ١١م)، فضلاً عن مقاربة تجربته العميقة، وإسهامه إلى جانب أحد طلبته النجباء[٢] في تحقيق "رسالتان في الأنواء لعريب بن سعد وابن البنا المراكشي"، وتتبع انشغالاته ورؤيته المنهجية في كيفية التعامل مع المخطوط، ووضعها ضمن سياق انشغالات المؤرخ المغربي.

أولاً: إسهامات المؤرخين المغاربة في تحقيق التراث المخطوط، ملاحظات أولية

ظلت مسألة تحقيق التراث المخطوط[٣] هاجس العديد من الأكاديميين المغاربة منذ الاستقلال، وكان الحافز فيها عبارة عن استباق مع الزمن لتوفير رصيد وثائقي يغني المكتبة المغربية، ويلبي حاجات الطلاب والباحثين، ويفصح في الوقت ذاته عن أصالة الأمة وعطاءها الحضاري، ويُبرز النبوغ العلمي والمعرفي للشخصية المغربية عبر التاريخ. وهو ما حوّل هذه الرغبة إلى همّ جماعي مع المدرسة الوضعانية[٤]. وتمت ترجمته فيما بعد بإنشاء بنيات بحث كرّست جهدها للتحقيق، وانبرى نخبة من الأساتذة الباحثين إلى الإشراف على رسائل التحقيق مثل المرحومين محمد حجي ومحمد المنوني وأحمد التوفيق في شعب التاريخ. فتوفر كم لا يستهان به من المصنفات المعرفية والوثائق المخزنية التي خضعت للتحقيق أو الإخراج، وذلك ما يعكس أهمية العملية والجهد المضني لإنقاذ جزء كبير من هذا التراث من غياهب النسيان والضياع.

ومما لا شك فيه أن التحقيق عملية معقدة، تحتاج إلى دراية واسعة، وعُدّة علمية ومنهجية، على غرار توثيق المتن وضبط ما يحمله من الأعلام والأماكن والمواضع والبلدان والمصادر المثبتة فيه، وتدقيق المصطلحات والمفاهيم وتحديدها تحديداً علمياً، وذلك بالاستناد إلى المعنى المعجمي أو المعنى الاصطلاحي أو المعنى الإجرائي، مع مراعاة المعاني الثلاثة والمعنى المشترك بينها، والأخذ بسياقات النصّ الزمنية والمكانية، ودراسة المتغيرات المؤثرة في شخصية المؤَلِّف، والتسلّح بمقاربة علمية تستحضر نتائج الأبحاث في مختلف العلوم الإنسانية، للتيسير فهم سياقات النص التاريخية وأبعاده الحضارية، واستنطاق معانيه ودلالاته، وهو ما يقلل من هواجس صعوبة دراسة النص عبر آليات التحليل والاستنباط والتفسير والنقد والمقارنة بين الأحداث والمسائل والقضايا والسياقات والإشكالات التي قد يبوح بها النص أو يضمرها.

لقد اقتحم المؤرخ شأنه في ذلك شأن الأديب واللساني والمتخصص في الدراسات الإسلامية[٥] ميدان إخراج كنوز التراث المخطوط أو تحقيقه، لأهميته العلمية، ولأخذ المشعل من المستشرقين الذين كان لهم قصب السبق وفضل اكتشاف كثير من القطع الأثرية المخطوطة، وعرضها وإخراجها ونشرها، رغم ما صاحب هذه العملية من انتقائية، ليس هذا مكان الخوض فيها.

ووعياً بالقيمة الثقافية والحضارية التي تكتسيها عملية إعادة إحياء هذا التراث، ووضعه رهن إشارة جمهور القراء والباحثين، سواء كأعمال بحثية موازية باشرها أساتذة باحثون، أو جاءت بغرض نيل شهادة جامعية في إطار وحدات التكوين والبحث، حيث انكبت هذه البنيات خلال عقدي الثمانينات والتسعينات في شعبة الآداب من داخل كليات الآداب والعلوم الإنسانية، وشعب أو كليات الشريعة منذ وقت مبكر على توجيه طلبتها للعناية بتحقيق المخطوطات، فالأولى راكمت التحقيق في قضايا اللغة العربية والأدب المغربي أو العربي، وأولت نظيراتها في كليات الشريعة وشعبة الدراسات الإسلامية[٦] الأهمية لإخراج أو تحقيق مخطوطات ذات صلة بالعلوم النقلية مثل الفقه خاصة على مذهب الإمام مالك بن أنس والعقيدة الأشعرية والأصول والتفسير والحديث والشروح وغيرها. واستند انخراط الشعبتين

في عملية التحقيق على تبريرات وجيهة، أملتها ضرورات وحاجات التخصص لوعاء مصدري، يهدف إلى خلق نوع من التراكم في المادة العلمية أساسًا، فضلاً عن الإحساس بمسؤولية هذين المكونين العلميين في إبراز أصالة وإبداع المغاربة في المجالين المذكورين.

ويُعدّ اقتحام المؤرخ هذا المجال مهمة جسيمة وخطوة محفوفة بالمزالق، سواء على مستوى المنهج، أو من خلال هوية المتن المحقق، حيث لم يلتفت المؤرخ إلى هواجس إخراج المصنفات التاريخية التقليدية فقط، بل انكب -إضافة إلى ذلك- إلى تخليص كثير من المصادر الدفينة من الإهمال وإخراجها إلى الضوء عبر الإقبال على تحقيق المخطوطات ونشرها "بما فيها المخطوطات التي لا تدخل بالضرورة ضمن التاريخ بالمعنى الضيق للكلمة"(٧)، وهو ما تجسد في التنوع الذي شمل اهتماماته في التحقيق من مصنفات التصوف والفلاحة والصيدلة والنوازل والرحلة والأنواء وغيرها، مستفيدا من تأثير رياح مدرسة الحوليات، وإسهامًا في الإمساك بأهم المفاتيح المادية المتينة للبحث العلمي، "الكامنة في التراث المكتوب" حسب تعبير جرمان عياش(٨)، عبر استغلال أحدث آليات ومناهج البحث التاريخي، واستخدام حاسة المؤرخ النقدية ورؤيته الشمولية المحيطة بالسياق الثقافي والأبعاد الحضارية للروايات التاريخية أو لعمليات التصنيف والكتابة، وهو ما منح تحقيقه جدة في المواضيع، وآفاقا أرحب وأوسع في منهجية التحقيق.

ليس مرادي هنا أن أذكر أو أسرد عناوين الكتب التي حققت أو الرسائل والأطاريح الجامعية التي باشرت التحقيق(٩) وتمت مناقشتها بمختلف الجامعات المغربية منذ بداية الاستقلال إلى اليوم(١٠)، لأن هذا الجهد يتنافى وطبيعة هذه المقالة. حتى إن إحصاء أو رصد مستوى التطور العددي لما تم تحقيقه من تراث مخطوط بالمغرب إلى هذا العهد، من الصعوبة بمكان الإحاطة به جله أو كله، لغياب قاعدة بيانات خاصة بالأطاريح والرسائل الجامعية(١١) التي باشرت التحقيق، أو ما ارتبط منها بإصدارات كأعمال بحثية موازية في هذا المجال، وهو ما يُعسر مسألة الإحاطة بمختلف "ما أُنجز... (وإن كان) يتطلب تخزينا معلوماتيا لعناوين الأطاريح والرسائل الجامعية"(١٢) تتكفل بها المؤسسات الجامعية أو الوزارة الوصية، وهذا أمر لم يتحقق لحد الآن، حتى إن المنصة التي أنشأتها وزارة التعليم العالي على موقعها الإلكتروني لهذا الغرض لم تُفعل هي أيضًا، فما أدرانا بمختلف الإبداعات والأبحاث عامة.

ولتفادي السقوط في التعميم أو الانجراف إلى أحكام مسبقة لا تستند إلى أساس أو سند علمي، لجأنا إلى ما هو متوفر، ويشمل مختلف عناوين الأطاريح والرسائل التي اشتغلت على التحقيق، وتمت مناقشتها فعلاً في مختلف الجامعات المغربية بين سنتي ١٩٦٩ تاريخ مناقشة أول رسالة جامعية في هذا المجال، وسنة ٢٠٠٧ التي تتناسب مع آخر تحيين لمنصة قاعدة البيانات الخاصة بعناوين الأطاريح والرسائل الجامعية في مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية بالدار البيضاء.

لقد ساعدتنا هذه العملية -إلى حد كبير-في رسم خريطة التحقيق في الجامعة المغربية، ونصيب شعبة التاريخ منها ضمن الإطار الزمني السابق (يُنظر المبيان ١ والجدول في ملحق المقال).

مبيان 1: عدد الأطاريح التي نوقشت بالجامعات المغربية في مجال التحقيق حسب الشعب منذ الاستقلال إلى 2007م

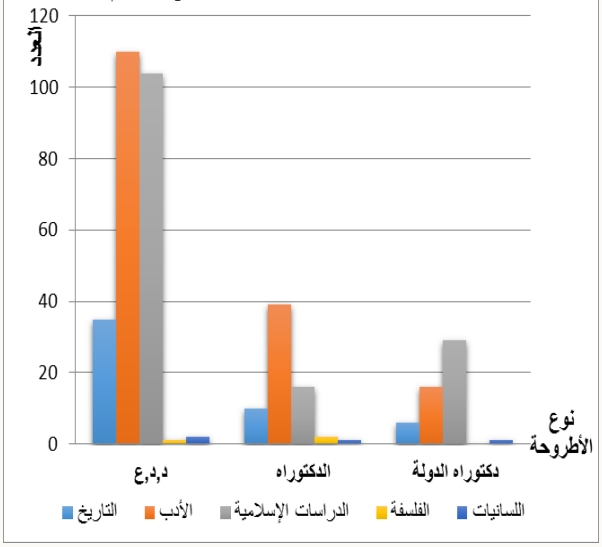

وفق المبيان رقم (١) تُعَدّ حصيلة التحقيق الجامعي الأكاديمي في مجال العلوم الإنسانية مهمة، مع تسجيل التزايد الحاصل خلال عقدي الثمانينات والتسعينات بالنسبة لدبلوم الدراسات العليا، واستمرت هذه الفورة خلال العقد الأول من الألفية الثالث خاصة مع الاعتماد الجديد للدكتوراه، وهي في الغالب مجهودات فردية تمت في غياب الظروف المؤسساتية المساعدة على الظفر بنُسخ المخطوطات المراد تحقيقها من ردهات المكتبات والخزانات العامة والخاصة(١٣)، فكانت بذلك استجابة لطموحات أكاديمية، أطرها تطور الوعي الوطني، وإثبات الهوية الوطنية خلال مرحلة الاستقلال، فتم توجيه مختلف الأبحاث العلمية، لملء ثغرة ندرة الوثائق المخزنية وقلة النصوص غير الرسمية المطبوعة(١٤)، وتسويد البياضات التي كانت تعتري مختلف الدراسات حول أدب وثقافة وتاريخ

المغرب[١٥]، وهو ما يعكس بالضرورة التطور الحاصل في عدد الرسائل والأطاريح الجامعية التي تمت مناقشتها منذ عقد الثمانينات والتسعينيات، والفورة المنهجية والاهتمامات الاجتماعية التي شغلت مختلف العلوم الإنسانية بالجامعات المغربية لا سيما شعب التاريخ[١٦] (يُنظر المبيان ٢).

مبيان 2: نسب عناية الجامعة المغربية بالتحقيق إلى حدود 2007م

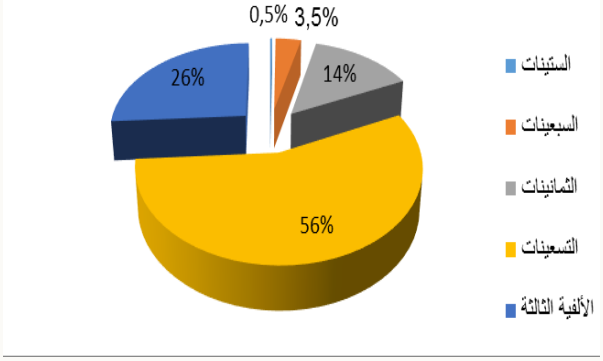

إن التقييم الصحيح لما أنجز ينبغي أن يتجنب التبخيس أو التقليل أو الاستهانة بما تم تحقيقه، دون الوقوع في فخ الاستهتار بقيمة التراث المخطوط، ولا نظرة الاستكثار بما أنجز لحد الآن، فإلى جانب المنعطفات الأساسية التي قطعها البحث التاريخي بالمغرب لا سيما على مستوى المنهج، فقد كان ذلك كفيل بالدفع قدما إلى الإسهام بشكل أكبر وحضور أقوى في مجال التحقيق. وقد أضحت في الآونة الأخيرة جملة من العقبات التي كانت تعترض سبيل المؤرخ في عملية التحقيق -في أغلبها-متجاوزة، على عكس الأجيال السابقة من مؤرخي عقدي السبعينات والثمانينات لافتقارهم "إلى أدوات العمل الضرورية، خاصة ما يتعلق بترتيب وتحقيق ونشر المصادر، الشيء الذي يستوجب وضع الرصيد الوطني من الوثائق رهن إشارة الباحثين وتسهيل مسطرة الاستعمال"[١٧].

فبخصوص مجال التاريخ، وفي ظل التحديات التي واجهت باحثيه خلال مرحلة الاستقلال باستغلال هذا التخصص واستعماله كورقة "لإذكاء الحس الوطني وتوحيد الأمة، وطبيعي أن يكون ذلك التاريخ موجها نحو تخليد الأمجاد والتركيز على كل المظاهر التي تدعم وحدة الأمة وتقوي الدولة الوطنية"[١٨]، وذلك بمباشرة المواضيع البحثية العامة التي تروم الندية والرد على الأطروحات الاستعمارية، للشروع فيما وسمه جرمان عياش بـ"فتح الأبواب المغلقة التي يمكن منها، لا محالة، اكتشاف الماضي الغميس اكتشافاً صحيحاً محققاً"[١٩]، ورغم جسامة هذه المهمة، وما استلزمته حنطة المؤرخين من تحديد للأولويات، فقد استأثرت مسألة التحقيق باهتمام لافت (ينظر المبيان رقم ٣).

مبيان 3: حظ التحقيق في مواضيع الرسائل الجامعية التي نوقشت بشعب التاريخ إلى حدود 2007م

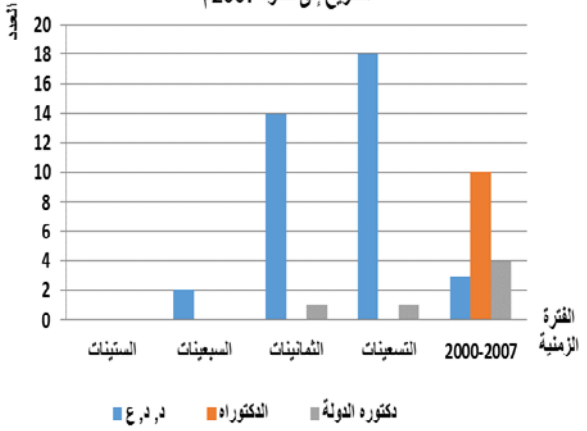

رغم أن هِمم المؤرخين المغاربة انصبت خلال عقدي السبعينات والثمانينات على الدراسات المونوغرافية والعمل على ضبط النصوص، ومعالجة العديد من الإشكالات المنهجية والمعرفية، وسبر أعماق مختلف أنواع الخطاب التاريخي، ففي الوقت ذاته حظيت "أعمال تحقيق التراث التاريخي بنصيب وافر من إقبال الباحثين الجامعيين"[٢٠]. إضافة إلى التوجه للتاريخ الجديد الذي "سمح بالكشف عن كميات كبيرة من الوثائق المحلية من جهة، وإلى الإقبال على تحقيق المخطوطات ونشرها من جهة ثانية، بما فيها النصوص التي لا تدخل بالضرورة ضمن التاريخ بالمعنى الضيق للكلمة"[٢١]. وقد تلمس المؤرخون المغاربة أليات وأساليب البحث الأنجلوساكسوني باستغلال "المادة المنقبية وأدبيات النوازل في مقاربة الواقع وتتبع بعض الظواهر الاجتماعية"[٢٢]، وهو ما شجع نخبة منهم على تجشم مسؤولية الإشراف على رسائل وأطاريح جامعية اختصت بمجال التحقيق لنيل دبلوم الدراسات العليا ودكتوراه الدولة والدكتوراه بعد اعتمادها أواخر عقد التسعينيات[٢٣].

ومن جهة أخرى لا تعوزنا الدلائل اليوم إلى ملاحظة تراجع مستوى الاعتناء بالتحقيق في إطار التكوين الجامعي، لأنه يُنظر إليه من جهة ضعف توفر شروط الكفاءة التي تُخول الشهادة الجامعية، وهو ما آل إليه الأمر بالنسبة للترجمة أيضًا، رغم الجهود التي تبذل لتدارك هذا الفتور[٢٤]. كما لا نقلل من شيوع فكرة أن بعض النصوص التي تتداخل فيها الألسن، أو تتسم لغتها بالركاكة لا تستحق التحقيق، لكن بعد عمل المرحوم أزايكو في "رحلة الوافد"[٢٥] أُعيد النظر كليا في مثل هذه المواقف، وهو ما تجسد في طرائق التحقيق اللاحقة.

ومن ثمة، فعلى المستوى الأكاديمي الصرف يُسجل انخراط المؤرخ بالجامعة المغربية في مجال التحقيق منذ وقت مبكر، بل ويعد قيمة إضافية، تكمن في التغير الذي طرأ على مفهوم الوثيقة،

وانفتاح المؤرخ على عدد من المناهج، ومختلف أصناف مصادر المعرفة الموثقة[٢٦]، وقد تزامن ذلك مع الكشف عن أعمال تحقيق موازية اضطلع بها نخبة من الباحثين في التاريخ، بالموازاة مع اتساع مساحة تاريخ البنيات الاقتصادية والاجتماعية على حساب التاريخي التقليدي الحدثي، فأضحى المؤرخ لا يقتصر فقط على مباشرة المصنفات ذات الطابع التاريخي التقليدي، بل شمل اهتمامه المتون المخطوطة من صنف التراجم والوفيات التي تؤرخ لسير أعلام العلم والمعرفة، ومن صنف المناقب ما يخلد كرامات وأعمال الأولياء والصلحاء، ومن كتب الأنساب ما يهتم بتوثيق السلالات من بيوت الأشراف، ومن المسائل والنوازل الفقهية ما يكشف طبيعة تفاعل الفقهاء مع الوقائع الطارئة والمستجدة[٢٧]، ومن كتب الجغرافيا والرحلات والأنواء وغيرها مما يعد موارد للمعرفة التاريخية.

ثانيًا: الدكتور إبراهيم القادري بوتشيش من تحقيق الرواية إلى تحقيق المخطوط

يُعَدّ الدكتور إبراهم القادري بوتشيش[٢٨] من رواد الجيل الثاني من المدرسة التاريخية المغربية، كرّس كل جهده لإعادة الاعتبار للتاريخ الاقتصادي والاجتماعي للغرب الإسلامي، ونسّق بنية بحث اختصت بذلك[٢٩]، وسهرت على تكوين جيل من الباحثين في هذا المجال، وظل وفيًا لرسالة البحث العلمي، ولم يكل ولم يفتر عن مواكبة مستجدات البحث التاريخي، مسهمًا بالنقاش العلمي حول هموم البحث التاريخي في المحافل الدولية والوطنية، وعلى صفحات الشبكة العنكبوتية، ومبادرًا إلى نشر آخر اهتماماته البحثية عبر مقالات وكتب، فلم تثنيه ظروفه الصحية ومسؤولياته الخاصة، ولا مواكبة تكوين الخلف من الجيل الثالث من المؤرخين، من مسؤولية استمرار العطاء والبحث، ومقاسمة طلابه هموم البحث وإنتاج المعرفة كما هو الشأن بالنسبة لكتاب "رسالتان في الأنواء".

لقد خاض هذا المؤرخ الفذ غمار البحث والتقصي في المصادر المخطوطة والمطبوعة بإشكالية واضحة، تميز بين الخطوط الفاصلة بين قواعد ثلاث: التحقيق والتأويل والتركيب. مستفيدًا من تراكم تجربة بحثية تجاوزت ثلاثة عقود، عارك خلالها مغالط المؤرخين، ونجح في تجاوز متاعب تقميش النصوص من أصولها المخطوطة، وتمكن من بناء معرفة تاريخية، نقلته إلى مصاف المؤرخين البارزين بالعالم العربي، مما أغنى تجربته البحثية عامة وفي التحقيق خاصة، ما يجعلها جديرة بالتحليل والدراسة.

١/٢-تحقيق الرواية التاريخية

تظل أهمية القراءة الجديدة للروايات التاريخية التي تكتنف النصوص التراثية مهمة صعبة المراس، لكونها تميط اللثام عن كثير من الروايات المتضاربة أو التي ظلت أسيرة لقراءة أحادية، يتم إعادة إنتاجها وترديدها، وهو ما يوغل البحث التاريخي في السطحية، ويجعله مرتهنا لمنظور ورؤية وسياق كاتب النص الأصلي، وهذا يتنافى مع أبسط عوائد البحث العلمي الأكاديمي، في مقابل القيمة والاعتبار العلمي الذي يُمنح للتجارب الرائدة في إعادة قراءة التراث، ومقاربة كثير من الروايات التاريخية، مستفيدين من الثورة المنهجية التي سادت العلوم الإنسانية والاجتماعية، وهو ما يمكن تلمسه من خلال إعادة قراءة نصوص الرحلة الحجية ليحيى بن إبراهيم الجدالي وأبعادها التاريخية والحضارية.

(١/٢) ١-قراءة في "خبايا رحلة يحيى بن إبراهيم الجدالي إلى الحج" أنموذجًا

تُعَدّ الرحلات الحجية في اتجاه المشرق مقصدًا دينيًا تعبديًا صرفًا، لكن رحلة يحيى بن إبراهيم الجدالي الحجية (حوالي سنة ٤٢٧هـ) لم تكن رحلة حجية عادية، وذلك بما اتخذته -حسب الدكتور إبراهيم القادري بوتشيش-من أبعاد سياسية[٣٠]، أقحمتها ضمن التحولات العامة التي واكبت حركة المد السني في العالم الإسلامي، خلال القرن (٥هـ/ ١١م)، متجاوزًا بتفسيراته القراءة السطحية لهذا المقصد التعبدي، ورافضا التذرع بحسن الطالع وصدفة اللقاء. ولتأكيد ذلك سعى إلى دمج التاريخ المحلي بالتاريخ الشمولي، واستحضر منطق القراءة الشمولية في بناء الحدث التاريخي، عبر منهجية بحثية صارمة تقارع المتوفر من النصوص، رغم ندرتها، وتقلل من رجاحة الروايات الاستوغرافية التاريخية، ومن نَحا نحوها من قراءات الباحثين[٣١]، وِفق منظور خلخل بنيات الواقع المغربي، وأعاد النظر في مكونات الصلة بين الرحلات الحجية والدعوات السياسية، وذلك ما منح منهجيته في تحقيق الرواية جِدة وقدرة على التفسير والتأويل، وثقة أكبر فيما توصل إليه؛ يقول بصدد اللقاء الذي جمع بين يحيى بن إبراهيم الجدالي وأبي عمران الفاسي بالقيروان لا يعوزنا "إعطاء الدليل على أنه لم يكن مجرد فكرة عارضة عنّت للزعيم الجدالي، بقدر ما كان لقاء استهدف وضع خطة لمشروع سني في الغرب الإسلامي، وإقامة دولة تعمل على تثبيت دعائمه"[٣٢].

لقد تمكن هذا التفسير من إعادة قراءة تحولات تاريخ المغرب خلال النصف الأول من القرن (٥هـ/ ١١م)، وصياغته وفق رؤية شمولية تستحضر مختلف السياقات الفاعلة في واقع العالم الإسلامي، وعلاقات التأثير والتأثر بين المغرب ومحيطه الإفريقي والإسلامي، ومستوعبًا لطبيعة البنى الاقتصادية والاجتماعية المسهمة في التحول والتغير الذي شهدته المنطقة بظهور الدولة المرابطية، وذلك اعتمادًا على ثلاثة عناصر أساسية:

أولاً: طموح القوى الهامشية إلى إنقاذ الخلافة الإسلامية من التمدد الشيعي، الذي بات يهدد العاصمة بغداد(٣٣).

ثانيًا: تحول طرق القوافل التجارية الصحراوية نحو الجهة الغربية مع مستهل القرن (٥هـ/ ١١م)، لصالح تحالف قبائل صنهاجة الجنوب التي ينتمي إليها يحيى بن إبراهيم الجدالي، وصارت أكبر مستفيد من هذا التحول، بما ملكته من مفاتيح الطريق نحو السودان؛ فلم يكن حجه "إلا تتويجا لهذه السيطرة، ولبداية المشروع السياسي حتى تضفي الصبغة الدينية، وهي شرط أساسي لنجاح المشروع"(٣٤).

ثالثًا: يصعب فصل هذه الرحلة الحجية عن ظاهرة المد السني في العالم الإسلامي، فقد جنّد السلاجقة أنفسهم لنصرة المذهب الأشعري في الشرق، بينما قامت صنهاجة الجنوب بنصرة المذهب المالكي في الغرب(٣٥).

لقد كشفت هذه الدراسة عن الخلفية التي تحكمت في الرحلة الحجية ليحيى بن إبراهيم الجدالي (حوالي سنة ٤٢٧هـ)، وعن أهداف اللقاء الذي جرى بينه وبين الفقيه السني المالكي أبي عمران الفاسي بالقيروان، "فالرحلة لم تكن بغرض ديني صرف، بقدر ما توخى منها صاحبها إيجاد سند ديني للقيام بمشروع سياسي التقت مبادئه مع مبادئ أبي عمران الفاسي، وهي إقامة دولة سنية مالكية، تكون مهمتها محاصرة التيار الشيعي والحركات البدعية، وتوحيد الغرب الإسلامي، وإنقاذ الخلافة الإسلامية المتهاوية"(٣٦).

(١/٢) ٢-منهجية تحقيق الروايات:

لم يكن الدكتور إبراهيم القادري بوتشيش في مختلف أعماله مندفعًا وراء رغبة التوصل فقط إلى معرفة الجزئيات أو تفكيك بنيات الغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، عن طريق تجميع تفاصيل الأحداث كما تعرضها مختلف المظان المخطوطة أو المطبوعة كمادة خام، بل كان منشغلا بتحقيقها وسبر غورها واستقرائها وإخضاعها للدرس والتحليل والمناقشة والاستنتاج بعد استخراج دررها وربط الجسور بينها(٣٧). ولم يكن يفصل بين تراكم الأحداث بِغَضّها وسمينها، وتحول البنيات الاقتصادية والاجتماعية والذهنية، أو بعبارة أخرى لم يكن يفصل بين مستوى صدق الرواية أو زيفها ومتطلبات عمق التحليل. وهو ما منح لمنهجيته في تحقيق الرواية جدّة ولأسلوبه في الإقناع جاذبية.

وبالنظر إلى منهج تحقيقه للروايات، كان المحتفى به منسجمًا مع منهجه العام والشامل الذي يمتحي من مدرسة الحوليات، فيأخذ بالاعتبار الزمن القصير الذي يتناسب مع التحولات والتغيرات السياسية، والزمن البطيئ الذي يسمح بتلمس التفاعل اليومي للناس، وتتبع تفاصيل الوقائع الاجتماعية والاقتصادية، والزمن الطويل الذي يتناسب مع وضع تحولات الغرب الإسلامي ضمن إطار زمني ومكاني أوسع وأشمل وأرحب، لا يفصل العصر الوسيط عن سابقه أو لاحقه. لقد ظلت مقولة "سيولة التاريخ الإسلامي العام"(٣٨) قاعدة منهجية، وجّهت مختلف الأبحاث والدراسات التي اشتغل عليها الباحث، مؤكدًا على نجاعتها كإطار شمولي ومرجعي لتفسير كثير من الظواهر التاريخية ببلاد الغرب الإسلامي، وهو ما يعكس سيولة العلاقة بين مشرق العالم الإسلامي ومغربه.

٢/٢-منهجية تحقيق المخطوط

(٢/٢) ١-اكتشاف "نوازل ابن الحاج التجيبي" عمّق الحاجة إلى التحقيق

لم يتوان الدكتور إبراهيم القادري بوتشيش منذ وقت مبكر عن دعوة الباحثين إلى استغلال مختلف المظان الدفينة في الدراسات التاريخية، لا سيما كتب النوازل والأحكام، لتجاوز تخريجات واستنتاجات الدراسات الاستشراقية(٣٩)، وإن كان لها فضل اكتشاف ونشر الكثير منها، مع جاك بيرك وأدولف فور وليفي بروفنسال(٤٠) وغيرهم، ومنذ ذاك التاريخ، وهو يقوم بالحفر والتنقيب والتدقيق في معرفة هذه المظان، ويحفز ويوجه إلى أهمية استغلالها في الدراسات التاريخية، ولم يكن مستغربًا أن يجهر بقيمتها ومكانتها في إنجاز أطروحته الجامعية؛ يقول في مقدمتها: "شكلت النوازل الفقهية حجر الزاوية في هذه الدراسة، إذ لولاها لظلت في طي الإبهام"(٤١)، نظرًا لكونها "تبرز مشاكل المجتمع وقضاياه من خلال نصوص عظيمة القيمة إلى جانب ما تختزنه من وثائق في غاية الأهمية".(٤٢) وتثمينا لهذه القيمة المنهجية تأتي مقالته حول "نوازل ابن الحاج الشهيد"(٤٣) تتويجا لمسار علمي، اختزل التجربة التاريخية المغربية في التفاعل مع التراث الفقهي – التاريخي.

لقد دافع الباحث وناضل عن نوازل ابن الحاج(٤٤)، عبر التعريف بها، والتنويه والإشادة بمخزونها المعرفي من جهة، وتوجيه اهتمامات الباحثين المغاربة إلى اكتشافها وإخراجها إلى الضوء من جهة ثانية، ولذلك استهل مساهمته بمقولة لمحمد بن شريفة حول مخطوط "مذاهب الحكام في نوازل الأحكام" التي قال فيها: "وسيقدم عندما ينشر قريبا هو ونوازل أبي الأصبغ ونوازل ابن رشد وغيرها من كتب النوازل القديمة مادة خصبة، وثروة لا تقدر للفقهاء والمؤرخين"(٤٥).

وقد قيض الله لمخطوط "نوازل ابن الحاج التجيبي" من باشر تحقيقه في إطار أطروحة جامعية لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ(٤٦)، وصدقت نبوءة الدكتور إبراهيم القادري بوتشيش الذي كان عضوا في لجنة مناقشتها يوم ٠٨ شتنبر ٢٠١٧. وبذلك يسدل الستار عن تاريخ مصدر ثمين في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للغرب الإسلامي ظل مخطوطا دهرا من الزمن،

لطالما انتظره الكثير من الباحثين، وتزامن الاحتفاء بالدكتور إبراهيم القدري بوتشيش مع طبع ونشر هذا العمل خاصة المتن المحقق منه. لا شك أنه يحسب لهذا الباحث إدراكه المبكر لقيمة فتاوى ابن الحاج التي خصص لها دراسة وافية أبرز فيها القيمة التأريخية للمخطوط، فضلاً عم تعكسه مجمل أعماله المطبوعة أو المنشورة ضمن العديد من المجلات الدولية والوطنية من روح وقادة وإرادة لا تنكسر في التشجيع على التحقيق الرصين، غيرة على التراث المخطوط.

(٢/٢) ٢-تجربة التحقيق مع كتاب "رسالتان في الأنواء":

استهل الدكتور إبراهيم القادري الغوص في عوالم علم الأنواء بمساهمة علمية ضمن مؤتمر دولي، وسمها بـ"علم الأنواء بالمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط وانعكاساته على الابتكارات العلمية"(٤٧). وقد فتحت هذه المشاركة شهيته في البحث والتنقيب، وألحمته في خوض تجربة التحقيق مع كتاب "رسالتان في الأنواء لعريب بن سعد وابن البنا المراكشي" إلى جانب الدكتور سعيد بنحمادة. تتناول الرسالتان قضايا من العلوم الطبيعية ذات البعد العملي والتجريبي المرتبط بالأرصاد الجوية التي تعنى بدراسة الكواكب والنجوم، ومواعيد الأمطار، والرياح وعلاقتها بتغيرات الطقس، والأحوال المناخية طيلة السنة، وانعكاساتها على المجال الزراعي والحيواني والخصوبة والقحط والجفاف(٤٨). قُسّم الكتاب إلى قسمين الأول خاص بدراسة الرسالتين شمل مبحثين؛ الأول عبارة عن أرضية تمهيدية حول الرسالتان، والسياق الثقافي لعلم الأنواء في المجتمع الإسلامي الوسيط، والثاني بعنوان ملاحظات حول تحقيق الرسالتين، والقسم الثاني شمل عرض النصين الكاملين لكل من عريب بن سعد القرطبي، وابن البنا المراكشي.

مضمون الرسالتان:

عن مضمون النصين في الكتاب، يذكر المحققان أن أهميتهما "لا تقتصر على تسجيل عصارة ما وصل إليه علم الأنواء في المغرب والأندلس، بل يعتبران أيضًا وثيقتين تاريخيتين في علم الأرصاد الجوية، والتغيرات المناخية خلال العصر الوسيط"(٤٩). وهذا ما يمنح الرسالتين قيمة علمية، ومصدرًا لا غنى عنه للباحث في الأنواء، لكونهما يشكلان خزانًا معرفيًا تُستقى منهما "معلومات حول موعد سقوط الأمطار، وهبوب الرياح التي تكون عادة في الثالث من فبراير، والتقاء حرّ الأرض بحرّ السماء في شهر مارس، وتوقيت هيجان البحر، أو هدوئه حسب الشهور، وما لذلك من علاقة بحركة الملاحة البحرية"(٥٠).

ففي المجال الفلاحي والبيئي تعرض الرسالتين معا لذكر "أنواع الأنواء التي تؤثر في خصوبة السنة الفلاحية، ومجال الغراسة وتوقيتها المناسب، وتزودان المتلقي بتوجيهات فلاحية وإرشادات زراعية مبنية على الخبرة المكتسبة، والتجربة العميقة التي وظفت في تنمية المجال الفلاحي، والمحافظة على البيئة"(٥١). وعن عوائد التغذية الصحية، وأنماط السلوك التي تتأثر بالتغيرات المناخية، تكمن أهمية "رسالتان في الأنواء" فيما "تتيحه للباحث من التعرف على نظام التغذية الصحية لدى الشعوب المتوسطية عموما، وأهل الأندلس والمغرب على الخصوص؛ فهما يعتبران بمثابة دليل في التغذية الصحية، خاصة أنهما تواكبان التحولات التي تحدث في الشهور تبعا للتغيرات المناخية، وما يترتب عن ذلك من تغير في عادات التغذية، إذ أن لكل فصل نوع خاص من الأغذية يحافظ على التوازن الصحي، ويقي من الأمراض التي يسببها تغير ارتفاع أو انخفاض درجة الحرارة والبرودة"(٥٢).

وللباحث في التاريخ الذهني حظ وافر من النصوص والمعارف، التي تساعد على فك مستغلقات ذهنية إنسان المغرب والأندلس خلال العصر الوسيط، وذلك بما تكشفه الرسالتين من "رواسب المعتقدات الشعبية المرتبطة بالمناخ؛ فالرعد وكسوف الشمس وخسوفها، وزيادة القمر أو كسوفه كان لها وقع على ذهنية الإنسان المغربي-الأندلسي. وهي معتقدات تتماهى مع آماله وطموحاته في قهر الطبيعة وتطويعها لصالحه، والاستعداد لمواجهة الكوارث والمجاعات"(٥٣).

منهج التحقيق:

إن أهم ما يلفت الانتباه في تحقيق "رسالتان في الأنواء" نقد المؤرخ للتجربة الاستشراقية في تحقيق النص العربي، وإن كنا لا نزعم أن هذه هي التجربة الأولى بهذا الصدد، فجزء من التراث العربي المخطوط خضع للنشر أو التحقيق أكثر من مرة، على يد أكثر من محقق، وجزء آخر لا يزال في صراع مع عوائد الزمن، وهو ما يستدعي تظافر الجهود وشحذ الهمم، لتشكيل بنيات بحث لهذا الغرض، لإخراجه إلى دائرة الضوء، مستفيدين من هذا التراكم في الإجراءات الأساسية والمنهجية التي تحققت إلى حد الآن. على أن الاشتغال على التحقيق، يبقى محفوفا بكثير من المزالق، رغم بذل الوسع في جمع النسخ المخطوطة، فإن بعض الثغرات تظل لصيقة بأعمال التحقيق، وتحتاج إلى إعادة ترميم، بعد اكتشاف هذه الهنات بالعثور على نسخ أخرى أضبط وأقرب زمنيًا من حياة مؤلفها، فضلاً عما تراكم من معارف ومقاربات منهجية جديدة، وهو ما يساعد على ضبط الفروق بين مناهج التحقيق، والاطمئنان إلى المسافة الفاصلة بينها، ومدى أثرها على النصوص والمتون المخطوطة التي خضعت للتحقيق وانعكاساتها عليها.

فبخصوص تحقيق رسالة الأنواء لعريب بن سعد يذكر المحققان "بناء على النشرة التي نشرها رينهارت دوزي Reinhart Dozy عام ١٨٧٣م، تحت عنوان "تقويم قرطبة"، اعتمادًا على

النصين العربي واللاتيني للمخطوط المودع بالمكتبة الوطنية بباريس، تحت رقم: ١٠٨٢، وعلى نشرة شارل بيلا Charles Pellat نشر الكتاب سنة ١٩٦١م"(٥٤). أما تحقيق "رسالة الأنواء " لابن البنا المراكشي، فقد تمت بناء على مراجعة نشرة "بول هنري جوزيف رنو Paul Henri Joseph Renaud"، المرفقة بالترجمة الفرنسية للنص العربي، والمعتمدة على خمس نسخ، وهي: نسختا المكتبة الوطنية الفرنسية بباريس، ونسختا المكتبة الوطنية بالجزائر، ونسخة خاصة بمدينة سلا. وتمت إعادة بناء النص اعتمادًا على نسختين جديدتين هما نسخة الخزانة الحسنية الحاملة لرقم ٩٠٢٣ (ضمن مجموع)، ثم نسخة المكتبة الوطنية بالرباط التي توجد ضمن مجموع أيضًا رقمه: ٢٧٦٥د.

وإذا كنا لا نقلل من جسامة تجربة البحث والتقصي والنبش في رفوف خزانات الكتب، بما تتطلبه من نفَس طويل، وهمّة عالية، طمعا في الظفر بنسخة إضافية، ترنو إلى تصويب ما اعوجّ، وتسويد ما ابيضّ فيما توفر من نُسخ، بغرض إخراج النص المخطوط في حلّة جديدة تقوم على الضبط والصرامة المنهجية، مرورًا بجملة من العمليات التي تستهدف "معالجة جزئيات ضبط النص وتحقيقه بما يتوافق مع المراحل العلمية لتوخي الصحة والدقة في الحصول على المعرفة التاريخية الصحيحة"(٥٥).

إن مقاربة هذا الإشكال تُعَدّ بداءة مقاربة جدّية وجديدة في ظل ما نراه من نشر النص الواحد أكثر من مرة، ثم إن هذه المقاربة استطاعت أن تنظر إلى الإشكال من زوايا جديدة، ويشترك في هذا كل من عارك أمواج التحقيق بجدية، واكتوى بنارها، من مختلف الباحثين في العلوم الإنسانية، لكن إضفاء لمسة المؤرخ في هذا المجال، وانخراطه واقتحامه عوالم التحقيق(٥٦)، يُعَدّ إضافة نوعية، بما توفر لديه من عدّة منهجية، ومقومات معرفية، وقدرة على سبر السياقات والمنعطفات التاريخية. وهذا ما يمنح تحقيق "رسالتان في الأنواء" جاذبية وجدة، لا سيما في معاركة موضوع يصعب الإمساك بخيوطه وتلابيبه، وبذلك يتحول التحقيق من منظور المؤرخ إلى نوع من إعادة القراءة العلمية للتراث المخطوط، هذه "القراءة التي تستلزم بالضرورة الاختلاف عند التعدد، فكل قراءة جديدة هي قراءة مختلفة بالنظر إلى اختلاف القارئ ورؤيته وغرضه"(٥٧)، فضلا عما تستلزمه هذه الصناعة من قواعد وأدوات وآليات تقنية تهم جوانب التخريج والضبط والتعليق ووضع الهوامش. وذلك ما توفر لدى المحققين(٥٨) وساعدهما على إعادة بناء النصين عن طريق المقارنة بين النشرتين، وملء الثغرات بينهما، بل وتطعيمهما ببعض النصوص الواردة في الكتب التراثية في علم الأنواء، حتى أصبحت الرسالتان "في متناول القارئ، وكذا المهتم بتاريخ الأرصاد الجوية خلال العصر الوسيط، ومحاولة ربطهما بالسياق الثقافي والمنتوج العلمي للأندلس والمغرب"(٥٩).

خَاتِمَةٌ

هدَفُنا من خلال هذه المقالة هو إثارة الانتباه لأهمية مجال تحقيق التراث المخطوط، ووضعه ضمن سياق الغليان الذي صاحب الكتابة التاريخية بالجامعة المغربية منذ الاستقلال، بغية استشراف أهمية التحقيق في مختلف فروع المعرفة الإنسانية، وبالأخص في مجال المعرفة التاريخية.

وإذا كان عدد من المخطوطات قد تعرض للتحقيق أكثر من مرة، فإن جزءًا آخر ما يزال ينتظر دوره، ويطمح إلى التفاتة علمية تنتشله من الإهمال والضياع. وإن كان من انتقاد لصعوبات وطرائق التحقيق، فإن من المسؤولية البوح بحاجة هذا المجال إلى بنيات بحث متخصصة قادرة على استيعاب مختلف التخصصات. نظرًا لحاجة التحقيق إلى دراية واسعة وعُدّة منهجية تتجاوز إقصاره على إنجاز أطروحة جامعية. وهو ما يمكن ملاحظته بوضوح من خلال التجارب الرائدة لنخبة من المؤرخين مع المتن الصوفي مثل تجربة أحمد التوفيق في كتاب "التشوف"، ومحمد الشريف في نص "المستفاد"، أو في الأنواء كما هو شأن "رسالتان في الأنواء" مثلاً. لقد تزامن مع بداية التراكم الذي حصل في الكتابة التاريخية المغربية نوع من التوازن، ففيما يخص المصادر لم يتخل المؤرخ عن دوره المحوري في التحقيق، وعلى المستوى المنهجي اتسعت آفاق البحث في التاريخ الإشكالي.

ويُعَدّ كتاب "رسالتان في الأنواء" انعكاس لهوس المحققَين بقيمة التراث المخطوط، واحترافية عالية في حسن اختيار الموضوع، ومنهجية التحقيق، وتعلقا بالإنتاج العلمي المغربي الأندلسي، موظفَين رصيدهما المعرفي وخبرتهما بمظان الغرب الإسلامي، ضمن التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والذهني بهذا المجال، وهو ما يمنح لهذه التجربة أصالة وتميزًا، ويرجحها في ميزان تجارب التحقيق في مختلف العلوم الإنسانية، ويزكي الاتجاه الذي يشترط في التحقيق عدّة علمية ودراية وتجربة تمتد لسنين طويلة، ورصيد منهجي رصين، نظرًا لطبيعة المظان وتعدد مضامينها التي تعكس موسوعية مؤلفيها، وهو ما يرسخ الاعتقاد بكون التحقيق تجربة قد تتجاوز الكفاءات الفردية إلى الأعمال الجماعية، وهذا ما يلاحظ بجلاء في الامتداد العلمي بين الدكتور إبراهيم القادري بوتشيش وطلبته، وذلك ما يتجسد بجلاء في عمل تحقيق "رسالتان في الأنواء".

ملحق

جدول يبين تطور عدد الرسائل والأطاريح الجامعية المغربية التي تمت مناقشتها في التحقيق حسب التخصصات إلى حدود ٢٠٠٧

الدبلوم	السنوات التخصص	1969	1970 1979	1980 1989	1990 1999	2000 2007
دبلوم الدراسات العليا	تاريخ	٠٠	٠٢	١٤	١٨	٠٣
	ادب	٠١	٠١	٢٧	٧٩	٠٠
	دراسات إسلامية	٠٠	٠٨	٠٧	٨٨	٠١
	فلسفة	٠٠	٠٠	٠٠	٠١	٠٠
	لسانيات	٠٠	٠٠	٠٠	٠٢	٠٠
الدكتوراه	تاريخ	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	١٠
	ادب	٠٠	٠٠	٠٠	٠١	٣٩
	دراسات إسلامية	٠٠	٠٠	٠٠	٠١	٣٩
	فلسفة	٠٠	٠٠	٠٠	٠١	٠١
	لسانيات	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠١
دكتوراه الدولة	تاريخ	٠٠	٠٠	٠١	٠١	٠٤
	ادب	٠٠	٠٠	٠١	٠٥	١٠
	دراسات إسلامية	٠٠	٠٢	٠٢	١١	١٤
	فلسفة	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠
	لسانيات	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠١

الهَوامِشُ:

(١) عبد الأحد السبتي، **التاريخ الاجتماعي ومسألة المنهج: ملاحظات أولية**، ضمن البحث في تاريخ المغرب حصيلة وتقويم، منشورات كلية الآداب، الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم ١٤، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٨٩. ص٤٢. (٤٣-٥٧)

(٢) قام بتحقيق "**رسالتان في الأنواء**" كل من الدكتور إبراهيم القادري بوتشيش والدكتور سعيد بنحمادة، صدر عن المجموعة المغاربية للدراسات التاريخية والحضارات المقارنة وكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولاي إسماعيل، مكناس، سلسلة دراسات ٣٥، برنت شوب، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م.

(٣) **التحقيق** لغة: مصدر من الفعل "حقّق"، "يحقّق"، "تحقيقاً"، والأصل فيها "حقّ". قال ابن منظور: حقَّ الأمرُ يَحِقُّ ويَحُقُّ حقاً وحقوقاً، أي صار حقّاً وثَبَتَ، وحَقّه وأحقّه، بمعنى أثبته وصار عنده حقاً لا يُشك فيه، وحَقَّهُ وحَقَّقَهُ، أي صَدَّقَهُ، وحَقَّقَ الرَّجُلُ إذا قال: هذا الشيءُ هو الحقُّ، كقولك: صَدَّقَ، وأحقَقْتُ الأمرَ إحقاقاً: إذا أحكمتُه وصحّحتُه". فـ"التحقيق" وفق هذه المعاني هو إحكام الشيء وصحته والتيقن والتثبت منه. وفي الاصطلاح: فيقصد بـ"التحقيق" الاجتهاد في جعل النصوص المحققة مطابقة لحقيقتها في النشر، كما وضعها صاحبها لفظا ومعنى. وهو ما يؤكده أحد المهتمين بالتحقيق بالقول هو "بذل عناية خاصة بالمخطوطات حتى يمكنَ التّثبُّتُ من استيفائها لشرائطَ معينة، فالكتاب المحقق هو الذي صح عنوانه، واسم مؤلّفه، ونسبة الكتابِ إليه، وكان متنه أقرب ما يكون إلى الصورة التي تَرَكها مؤلفُها". وعلى هذا فإن جهود تحقيق المخطوط تتجه صوب استيفاء هذه الشرائط حتى يظهر بقدر الإمكان مقاربا لنص مؤلفه. ابن منظور: **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٣م، ج٤ ص١٧٧. عبد السلام محمد هارون، **تحقيق النصوص ونشرها**، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة السابعة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ص٣٤. ٤٢.

(٤) قسم محمد منصور هذه المرحلة إلى قسمين: الأول وسمه بالمرحلة بالوطنية (١٩٥٦ - ١٩٧٦) انصبت خلالها جهود المؤرخين المغاربة على دحض الاستوغرافيا الاستعمارية، وعلى جمع رصيد وثائقي يعكس أصالة التراث المغربي، والمرحلة الثانية (١٩٧٦ - ١٩٨٦) انفتح خلالها البحث على آفاق التاريخ الاجتماعي، والنهل من رياح مدرسة الحوليات. محمد منصور: **الكتابة التاريخية بالمغرب خلال ثلاثين سنة (١٩٥٦ - ١٩٨٦): ملاحظات عامة**، ضمن البحث في تاريخ المغرب حصيلة وتقويم، منشورات كلية الآداب، الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم ١٤، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٨٩. ص٢٠-٢٢. (١٧-٢٧)

(٥) نقصد بالدراسات الإسلامية مختلف الشعب والكليات التي اختصت بالعلوم الشرعية مثل كليات الشريعة، وكلية أصول الدين، ودار الحديث الحسنية، وشعبة الدراسات الإسلامية بعد إحداثها بمختلف كليات الآداب.

(٦) يلاحظ داخل شعبة الدراسات الإسلامية اهتماماً خاصاً بالمخطوطات، حيث شكلت الرسائل المسجلة حولها نسبة ١٥%، ولها فضل إنقاذ هذه المخطوطات التي ألّفها علماء ومتصوفة في القرون السالفة من الضياع. عبد الواحد أكمير: **تطور البحث العلمي في المغرب من خلال الرسائل الجامعية: العلوم الإنسانية نموذجًا**، مجلة فكر ونقد، ثقافية شهرية، دار النشر المغربية، الرباط، عدد ٢٨، السنة ٢٠٠٠، ص ١٥٦.

(٧) محمد منصور: **الكتابة التاريخية بالمغرب، ضمن البحث في تاريخ المغرب حصيلة وتقويم**، ص٢٦.

(٨) يشمل التراث المكتوب المصنفات الإخبارية والفقهية والأدبية والشخصية وغيرها، وإن كان جرمان عياش يمنح الأولية "للمكتوب الوثائقي باختلاف أنواعه، سواء الذي يخص العلاقات بين أشخاص.. أو الذي يصدر من دولاب الدولة" أو ما يطلق عليه بالوثائق المخزنية، والتي كانت استجابة لظرفية تاريخية أملتها مرحلة ما بعد الاستعمار. اتجاه جديد للبحث التاريخي في المغرب، ضمن البحث في تاريخ المغرب حصيلة وتقويم، منشورات كلية الآداب، الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم ١٤، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٨٩. ص٣٤. (٢٩-٤٢)

(٩) دأب **الدكتور عمر أفا** مشكوراً على نشر دليل عناوين الرسائل الجامعية التي تصدرها كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكدال بالرباط، ووضع لها ملاحق حسب ما استجد من رسائل علمية، ولكن هذه المبادرة رغم أهميتها فقد اقتصرت فقط على هذه الكلية، ونحتاج إلى أن تباشر الجامعات المغربية هذه المهمة وتضعها رهن إشارات الطلاب على مواقعها ومنصاتها عبر الأنترنيت لتدارك هذا الفراغ حول بيانات عناوين الرسائل الجامعية، ولما لا التفكير في إنشاء مرصد للبحث العلمي بالمغرب يباشر هذه العمليات.

(١٠) اقترن البحث العلمي خلال مرحلة الاستقلال بتأسيس أول جامعة مغربية هي **جامعة محمد الخامس** التي أنشئت بالرباط عام ١٩٥٧، حيث بقيت الوحيدة من نوعها إلى عام ١٩٦٣ تاريخ تأسيس جامعة القرويين بكلياتها الثلاث: (كلية الشريعة بفاس وكلية أصول الدين بتطوان وكلية اللغة العربية بمراكش)، بعد ذلك وفي إطار سياسة اللامركزية أنشئت جامعات أخرى في كل من الدار البيضاء وفاس عام ١٩٧٥ وفي تطوان ومكناس والجديدة وأكادير والقنيطرة عام ١٩٨٢، كما أنشئت بعد ذلك في مدن أخرى كليات تابعة لإحدى هذه الجامعات مثل كليتي الآداب والعلوم الإنسانية في كل من المحمدية وبني ملال. عبد الواحد أكمير: **تطور البحث العلمي في المغرب من خلال الرسائل الجامعية**، مجلة فكر ونقد، ص١٥٧.

(١١) سبق للدكتور عبد الواحد أكمير أن اعتمد على التطور العددي للرسائل الجامعية لإعطاء فكرة عن مراحل تطور البحث العلمي في العلوم الإنسانية، معتمدًا كمقياس الرسائل الجامعية (دبلوم الدراسات العليا ودكتوراه الدولة) التي سجلت أو نوقشت بكليات الآداب والعلوم الإنسانية، ينظر **تطور البحث العلمي في المغرب من خلال الرسائل الجامعية**، مجلة فكر ونقد، عدد ٢٨، ص١٥٩.

(١٢) من تقديم: البحث في تاريخ المغرب، حصيلة وتقويم، ص١٤.

(١٣) عن بعض هذه المعيقات يُنظر محمد منصور: **الكتابة التاريخية بالمغرب، ضمن البحث في تاريخ المغرب حصيلة وتقويم**، ص٢٠.

(١٤) يبرز محمد القبلي أهم مميزات محطة فترة الحماية بالنسبة للباحث في تاريخ المجتمع المغربي في اعتنائها بالكشف عن كثير من أمهات المصادر ونشرها، وترجمة العديد منها إلى اللغتين الفرنسية والإسبانية. دون أن يشير إلى هوية الباحثين الذين تكفلوا بهذه المهمة، وهم أجانب وجهوا بوصلة أعمالهم إلى تبرير السلوك الاستعماري. **حول تاريخ المجتمع المغربي في العصر الوسيط: مقدمات أولية وقضايا**، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، نشر الفنك، ١٩٩٨م، ص١٠.

(١٥) ستسمح هذه النصوص المحققة والتطور الحاصل على مستوى المنهج في مجال البحث التاريخي من مباشرة الدراسات الدقيقة والمعمقة التي تسمح بتفسير التطور التاريخي على مستوى الزمن الطويل وفق منظور شمولي.

(١٦) رغم تأثر المؤرخين المغاربة بنتائج أبحاث **مدرسة الحوليات**، فقد كانت تعوزهم في الغالب المادة العلمية والمصدرية، فخلال العقدين الثامن والتاسع ستستفيد مختلف الأبحاث العلمية من مأسسة الأرشيف، وفهرسة بعض الخزانات العلمية كالخزانة الحسنية، ومباشرة نخبة من الباحثين مثل العلامة **محمد المنوني** بالدراسات البيبليوغرافية، وإصداره الجزء الأول من مصنف "المصادر العربية لتاريخ المغرب" و"دليل مخطوطات دار الكتب الناصرية".

(١٧) من تقديم: **البحث في تاريخ المغرب**، حصيلة وتقويم، ص١٤.

(١٨) محمد منصور: **الكتابة التاريخية بالمغرب، ضمن البحث في تاريخ المغرب حصيلة وتقويم**، ص١٩.

(١٩) اتجاه جديد للبحث التاريخي في المغرب، ضمن البحث في تاريخ المغرب حصيلة وتقويم، ص٣٤.

(٢٠) محمد القبلي: **حول تاريخ المجتمع المغربي في العصر الوسيط**، ص١٢. محمد منصور: **الكتابة التاريخية بالمغرب، ضمن البحث في تاريخ المغرب حصيلة وتقويم**، ص٢٧.

(٢١) محمد منصور: **الكتابة التاريخية بالمغرب، ضمن البحث في تاريخ المغرب حصيلة وتقويم**، ص٢٦.

(٢٢) محمد القبلي: **حول تاريخ المجتمع المغربي في العصر الوسيط**، ص١٢.

(٢٣) صدر **قانون الإصلاح الجامعي** لسنة ١٩٩٧ الذي حل معه نظام العمل بأطروحة جامعية واحدة هي الدكتوراه مكان نظام العمل بالأطروحتين (دبلوم الدراسات العليا ودكتوراه الدولة)، والذي منح الباحثين الذين يرغبون في مواصلة البحث بمقتضى النظام القديم مدة زمنية محدودة لمناقشة رسائلهم.

(٢٤) نستحضر بهذا الصدد الدورة التدريبية الأولى في تحقيق المخطوطات التي نظمها مركز دراسات المخطوطات الإسلامية التابع لمؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي بلندن، بالتعاون مع كلية الآداب والعلوم الإنسانية ابن مسيك، جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء، والخزانة الحسنية بالرباط، من ٦ إلى ١٦ جمادى الأولى ١٤٣٤هـ الموافق ١٨ إلى ٢٨ مارس ٢٠١٣م، برحاب كلية الآداب ابن مسيك. للمزيد من الاطلاع يراجع موقع مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث www.almarkaz.ma.

(٢٥) للمزيد حول الموضوع يُنظر: مقدمة تحقيق "رحلة الوافد: لحظات من تاريخ أدرار ن-درن (أطلس مراكش) وسوس في القرن ١٢ الهجري/ ١٨ الميلادي" لعبد الله بن إبراهيم التاسافتي الزرهوني (كان حيًا عام ١١٤٢هـ)، تحقيق صدقي علي أزايكو، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، سلسلة نصوص ووثائق رقم ١، المعارف الجديدة، الرباط، ١٩٩٢م. نال أزايكو دبلوم الدراسات العليا (السلك الثالث) في موضوع: "**رحلة الوافد**، تقديم وتحقيق"، تحت إشراف المرحوم الدكتور محمد زنيبر، يوم ١٣ يوليوز ١٩٨٨.

(٢٦) تأثر الباحثون المغاربة خلال الفترة الممتدة من مستهل عقد الخمسينيات إلى منتصف السبعينيات برياح مدرسة الحوليات وتيار مجلة الفكر فـ"نزل المغاربة إلى حلبة التحقيق ونشر التراث" لدحض الأطروحات الاستعمارية، عن طريق استغلال مختلف المصادر لدراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي للمجتمع المغربي. يُنظر محمد القبلي: **حول تاريخ المجتمع المغربي في العصر الوسيط**، ص١١-١٢.

(٢٧) يُنظر بهذا الصدد الكتاب الذي كان لنا شرف الإسهام فيه: الفقه والتاريخ بسجلماسة، مباحث في تفاعلات المعاش والاقتصاد والثقافة من خلال فتاوى ابن هلال السجلماسي، تنسيق محمد البركة وسعيد بنحمادة، منشورات الزمن، مطبعة بني ازناسن سلا-المغرب، سلسلة شرفات، عدد ٦٥، أكتوبر ٢٠١٥م.

(٢٨) هو أستاذ التاريخ والحضارة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولاي إسماعيل بمدينة مكناس، المملكة المغربية. منسق وحدة التكوين والبحث في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط بنفس الكلية، وهو نموذج المثقف العضوي المسكون بهموم المجتمع، له العديد من المؤلفات كتب ومقالات ومشاركات علمية وازنة في العديد من المؤتمرات والمنابر الدولية والوطنية. أقيمت ندوة علمية دولية بمدينة تطوان المغربية أيام ١٨ و١٩ و٢٠ أبريل ٢٠١٨ احتفاء بعطاءاته وإنجازاته في مجال البحث التاريخي.

(٢٩) وسمت هذه البنية بـ"التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط" بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولاي إسماعيل بمكناس، تخرج منها فوجان فقط الأول سنة ٢٠٠١ والثاني سنة ٢٠٠٣. وقد حظينا بشرف الانتماء إلى الفوج الثاني منها.

(٣٠) إبراهيم القادري بوتشيش: **الحياة الاجتماعية في المغرب والأندلس خلال عصر المرابطين**، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ الإسلامي، تخصص تاريخ المغرب والأندلس، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولاي إسماعيل، بمكناس، السنة الجامعية ١٩٩٠-١٩٩١م، ص٨٥-٩١. نفسه: خبايا رحلة يحيى بن إبراهيم الجدالي إلى الحج (حوالي سنة ٤٦٧هـ) دراسة في مكونات الصلة بين الرحلات الحجية والدعوات السياسية، ضمن كتاب **تاريخ الغرب الإسلامي قراءة جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م، ص٥٤-٦٢.

(٣١) يُنظر انتقادات الدكتور إبراهيم القادري بوتشيش لبعض الدراسات التي قاربت موضوع الرحلة ولقاء يحيى بن إبراهيم الجدالي بأبي عمران الفاسي ضمن **كتاب تاريخ الغرب الإسلامي**، ص٥٤-٥٥.

(٣٢) إبراهيم القادري بوتشيش: **الحياة الاجتماعية في المغرب والأندلس**، ص٨٦.

(٣٣) نفسه، ص ٩١. إبراهيم القادري بوتشيش" **تاريخ الغرب الإسلامي**، ص٥٥-٥٧.

(٣٤) إبراهيم القادري بوتشيش: **الحياة الاجتماعية في المغرب والأندلس**، ص ٨٤-٨٥. نفسه: **تاريخ الغرب الإسلامي**، ص٥٧-٥٨.

(٣٥) إبراهيم القادري بوتشيش: **الحياة الاجتماعية في المغرب والأندلس**، ص٨٩-٩٠. نفسه: **تاريخ الغرب الإسلامي**، ص٥٨-٦٢.

(٣٦) إبراهيم القادري بوتشيش: **الحياة الاجتماعية في المغرب والأندلس**، ص٨٧ بتصرف. نفسه: **تاريخ الغرب الإسلامي**، ص٦٢.

(٣٧) وهو ما عبر عنه عبد الأحد السبتي بالقول: "إن النصوص ليست بالأدوات الشفافة التي تساعد على الوصول إلى مضامين جامدة، بل هناك عدد من الدلالات التي لا تخاطب الباحث إلا إذا تبنى هذا الأخير قراءة تتعدى البحث عن وقائع معزولة"، التاريخ الاجتماعي ومسألة المنهج: ملاحظات أولية، **ضمن البحث في تاريخ المغرب حصيلة وتقويم**، ص٥٤.

(٣٨) إبراهيم القادري بوتشيش: **الحياة الاجتماعية في المغرب والأندلس**، ص٧٨. نفسه، **تاريخ الغرب الإسلامي**، ص٣٩.

(٣٩) لم تكن أغلب الدراسات الاستشراقية شرًا مطلقًا يستلزم موقفًا للمخاصمة، كما يصعب أن نغض الطرف عن أياديهم البيضاء على كثير من تراثنا المخطوط بالكشف عنه ونشره، دون الغوص في خلفيات ودوافع ذلك، لكون موقف المخاصمة هذا "ينطوي على عدد من مواطن الضعف، إذ أنه يؤدي إلى تشويه مقابل تشويه، ويجبر الباحث (المغربي) على المكوث في المواقع التي حددتها تلك الكتابة، كما أن الموقف الدفاعي قد يبتعد عن الموضوعية حين يحمِّل الآخر مسؤوليات التأخر التاريخي ويتجاهل مواطن الضعف داخل الكيان المغربي". من تقديم: **البحث في تاريخ المغرب، حصيلة وتقويم**، ص١٤.

(٤٠) تنوعت اهتمامات المستشرقين بين "من عمل على تأسيس نقد النصوص، ومنهم من سهر على نشر المصادر، ومنهم من وضع كتبا تنتمي للتاريخ الحدثي. أو تاريخ البنيات الاجتماعية". عبد الأحد السبتي، **التاريخ الاجتماعي ومسألة المنهج: ملاحظات أولية**، ص٥٠.

(٤١) إبراهيم القادري بوتشيش: **الحياة الاجتماعية في المغرب والأندلس**، ص١٦.

(٤٢) نفسه، والصفحة نفسها.

(٤٣) إبراهيم القادري بوتشيش: **حول مخطوط نوازل ابن الحاج وأهمية مادته التاريخية**، ضمن مجلة المناهل، عدد ٣٩، دجنبر ١٩٩٠، ص١١٤.

(٤٤) أفرد إبراهيم القادري بوتشيش عنوانًا ضمن مقالته وسمه بـ "**نوازل ابن الحاج موجودة بالفعل**" لإزالة اللبس والشك الذي انتاب محمد بن شريفة، وهو تأكيد على اكتشاف هذا المخطوط. حول مخطوط نوازل ابن الحاج، ص١١٦.

(٤٥) محمد بن شريفة: "**وقائع أندلسية في نوازل القاضي عياض**"، ضمن مجلة دعوة الحق، عدد ٢٦٤، شعبان رمضان ١٤٠٧هـ/ أبريل ماي ١٩٨٧م، ص٣٥.

(٤٦) الدكتور أحمد اليوسفي الذي حقق قام بتحقيق "**نوازل ابن الحاج التجيبي**" بعد جهد دام ٢٥ سنة، ضمت لجنة المناقشة قامات علمية معروفة مثل الدكتور محمد بنعبود والدكتور إبراهيم القادري بوتشيش والدكتور محمد الشريف.

(٤٧) مساهمة علمية للدكتور إبراهيم القادري في مؤتمر "**العلوم في الحضارة الإسلامية وآثارها الفكرية والثقافية**" الذي نظمه المجلس الوطني للثقافة والآداب بالكويت بتعاون مع كلية الآداب-جامعة الكويت، أيام ١٠-١٢ أكتوبر ٢٠١٦.

(٤٨) إبراهيم القادري بوتشيش وسعيد بن حمادة: **رسالتان في الأنواء**، ص١٠.

(٤٩) نفسه، ص٣٤.

(٥٠) نفسه، ص٣٥.

(٥١) نفسه، ص٣٤-٣٥.

(٥٢) إبراهيم القادري بوتشيش وسعيد بن حمادة: **رسالتان في الأنواء**، ص٣٥-٣٦.

(٥٣) نفسه، ص٣٧.

(٥٤) إبراهيم القادري بوتشيش وسعيد بن حمادة: **رسالتان في الأنواء**، ص٢٣.

(٥٥) التجاني مياطة: "**الضوابط العلمية الحديثة لتحقيق المخطوط العربي**"، ضمن دورية كان التاريخية، عدد ٢٥ السنة السابعة، شتنبر ٢٠١٤م، ص١٤٦.

(٥٦) لا نزعم أن هذه هي المرة الأولى التي يباشر فيها المؤرخ عملية التحقيق، بل سبق إلى ذلك مؤرخين سابقين، ولكن ما يمنح هذه التجربة قيمة إضافية هي الاستفادة من التراكم الحاصل في أفق وضع مقاربة متكاملة تميز تجربة المؤرخ في هذا المجال، تبدأ من كيفية انتقاء النصوص/ المخطوطات، وتنتهي بمنهجية صارمة في صناعة التحقيق.

(٥٧) فيصل الحفيان، "**مناهج التحقيق بين العرب والغرب**"، مداخلة ضمن مؤتمر "**مناهج تحقيق المخطوطات بين العرب والغرب**" الذي عقد بجامعة زيان عاشور بولاية الجلفة (الجزائر) يومي ١٣ و١٤ أبريل ٢٠١٥، *http://majles.alukah.net/imgcache/2013/09/321.jpg*

(٥٨) إبراهيم القادري بوتشيش وسعيد بن حمادة: **رسالتان في الأنواء**، ص٤٧-٤٩.

(٥٩) نفسه، ص٤٩.